

توظيف الروابط والعوامل الحجاجية ودورها في كتابه :
ذم الهوى لابن الجوزي

*Using connectors and argumentative elements and their role in Ibn
Al-Jawzi's Damm Al-Hawa book*

طالب الدكتوراه: رابع كريع
الدكتور: محمد مدور

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة غرداية - غرداية (الجزائر)

مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري، جامعة غرداية.

kribaa.rabah@univ-ghardaia.dz

تاريخ النشر: 2022/09/15

تاريخ الإيداع: 2022/04/15

تاريخ القبول: 2021/04/01

ملخص:

يتخذ الخطاب عامة والديني خاصة جملة من الأدوات والأساليب الحجاجية، التي تدفع بالمخاطب إلى التأثر والاعتناع، ومن أهم هذه الأدوات؛ الروابط والعوامل الحجاجية، إذ أن اللغة البليغة التي تُوظف فيها هذه الروابط والعوامل لا بد أن تؤدي وبشكل كبير عملية الإقناع في أسلوبها الخطابي، ذلك لما تحمله هذه الروابط والعوامل من طاقات حجاجية متنوعة تحمل المتلقي إلى الإذعان والاستجابة.

وسنحاول خلال هذه الدراسة الوقوف على حجاجية الخطاب الديني والبلاغي، معتمدين على كتاب ذم الهوى لابن الجوزي -رحمه الله- كنموذج تطبيقي نروم من خلاله ترصد أهم الروابط والعوامل الحجاجية الموظفة في الخطاب الديني والبلاغي، وتبيين دورها في توجيه الخطاب وحجاجيته.

الكلمات المفتاحية: الروابط الحجاجية؛ العوامل الحجاجية؛ المبادئ الحجاجية؛ ذم الهوى؛ ابن

الجوزي.

Abstract:

The discourse in general and the rhetoric one in particular takes a set of argumentative tools and styles that push the addressee to be influenced and convicted, and the most important of these tools are the argumentative factors and connectors. In this, the rhetoric language where these factors and

connectors are employed must largely lead to the process of persuasion in its discursive style. This is because these connectors and links hold so many different argumentative energies that lead the addressee to respond and be more docile to them. Through this study, we try to identify the argumentative religious and rhetorical discourses based on "Ibn al-Jawzi" s book of Damm al Hawa (treats of a profane love) as a practical model. Through this model, I intended to scrutinize the most important links and argumentative factors employed in both religious and rhetorical discourses, and explain their role in guiding the discourse and its argumentation.

key words: Argumentative connections; argumentative factors; argumentative principles, Damm al Hawa; Ibn Al-Jawzi.

مقدمة:

بما أن الحجاج يعد ظاهرة متجسدة في الخطاب، وبما أن أهم ما يميز الخطاب الحجاجي هو طابعه التلفظي الذي يعنى باستحضار كافة العناصر التواصلية، فإن مقارنة هذه الظاهرة مقارنة تداولية غدت اليوم ضرورة ملحة أكثر من غيرها، إذ تجاوز التحليل الأدبي للخطاب الحدود البنيوية الضيقة ليقوم بتجلية آلياته وتقنياته وغاياته عبر دراسة اللغة في شموليتها وتحليل القضايا المرتبطة بالتواصل الإنساني بعمومه، سواء اللساني أو غير اللساني، وفي ضوء هذا المنظور كثرت الدراسات والبحوث التداولية، وتعمقت في ذلك نظيراً وتأويلاً وممارسة، وزاد الاهتمام بدور اللغة وأبعادها المتعددة والمختلفة، وانطلاقاً من هذه الخصوصية أردنا الإسهام في تقصي أهم خصائص الخطاب الحجاجي، عبر تتبع أبرز الروابط والعوامل الحجاجية المدرجة في الخطاب الديني، وترصدها من خلال الدور الذي تجسده في اللغة عامة، وفي المدونة الدينية المفعممة بالأساليب الحجاجية خاصة، ووضعنا نصب أعيننا جملة من التساؤلات المتعلقة بهذا الشأن، تتمحور في مجملها حول إشكالية تستدعي البحث والدراسة، وتتمثل في: ما هي هذه الروابط والعوامل الحجاجية؟ وما الدور الحجاجي الذي تؤديه داخل الخطاب وكيف توجهه؟ وكيف وظفها ابن الجوزي -رحمه الله- في ذم الهوى واستنكاره؟

كما يعد كتاب ذم الهوى لابن الجوزي أحد أهم الكتب، سواء في قيمته الفكرية والدينية أو في ثروته اللغوية وثراء أسلوبه الحجاجي، إذ اشتمل هذا الكتاب على مختلف فنون البلاغة والأدب، وقد صيغت أغلب أنواع الخطاب فيه من شعر ونثر، وأحاديث نبوية شريفة، وآيات قرآنية كريمة، بقصد الإقناع والمحاججة، وتغيير فكرة المتلقي بزم الهوى، واستنكاره في قلبه، فحاولنا خلال هذه الدراسة أن نسلط الضوء على الروابط والعوامل الحجاجية التي توجه الخطاب وتؤثر في بنيته، ولأجل ذلك اخترنا عنواناً يتماشى مع هذا المقتضى، وسنماه ب: توظيف الروابط والعوامل الحجاجية ودورها في كتاب ذم الهوى لابن الجوزي، وقسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام: أولاً؛ دور الروابط الحجاجية وتوظيفها، ثانياً؛ دور العوامل

الحجاجية وتوظيفها، وثالثاً؛ المبادئ الحجاجية، كل هذا من خلال دراسة تحليلية في كتاب دم الهوى لابن الجوزي.

• 1: دور الروابط الحجاجية وتوظيفها في دم الهوى لابن الجوزي:

• أولاً: دور الروابط الحجاجية:

• لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محدّدة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر المواد التي يتم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلاً، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية¹. نذكر من هذه الأدوات: (لكن، إذن، بل، حتى، لاسيما، إذ، لأن، لما أن، مع ذلك، ربّما، تقريبا، إنّما، ما، إلّا... إلخ)².

• وقد اقترح ديكر ووصف حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات باعتباره بديلا للوصف التقليدي، فبالنسبة ل "حتى"، "meme" ليس دورها منحصر في أن تضيف المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى جاء زيد) معلومة أخرى هي (مجيئ زيد غير متوقع)، بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية³.

• فالمقصود بالربط هو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة، أو ضمير يحيل إليها، وتلجأ العربية إما لأمن اللبس في فهم الانفصال بين المعنيين، وإما لفهم اللبس في فهم الارتباط بين المعنيين، فالربط هو الحلقة الوسطى بين الارتباط والانفصال⁴. إذن فالرابط الحجاجي هو الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار استراتيجية واحدة⁵.

• فإذا أخذنا المثال التالي: زيد مجتهد، إذن سينجح في الإمتحان.

• فسنجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة (سينجح) والرابط الحجاجي (إذن) الذي يربط بينهما.

• وقد ميّز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط منها:⁶

• أ- الروابط المدرجة للحجج: (حتى - بل - لكن - مع ذلك - لأن ...) والروابط المدرجة للنتائج: (إذن - لهذا - وبالتالي ...)

• ب- الروابط التي تدرج حججا قوية: (حتى - بل - لكن - لاسيما ...) والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

• ج- روابط التعارض الحجاجي: (بل - لكن - مع ذلك) وروابط التساوق الحجاجي: (حتى - لاسيما)

• وتكمن قيمتها الحجاجية في أنها تضطلع بدورين: الربط الحجاجي بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب.⁷

• معايير الرباط الحجاجي في الخطاب:

• أ- معيار عدد المتغيرات: يربط الرباط الحجاجي بين المتغيرات الحجاجية، فيكون محمولا ذا موقعين حجاجين، حيث يتوسط الرباط الحجاجي متغيرين حجاجيين، ومثاله: الجو ممطر، إذن سأبقى في المنزل⁸، أو ذا ثلاثة مواقع، حيث يتوسط الرباط الحجاجي ثلاثة متغيرات حجاجية، ومثاله: ساءت أحوال عمار أصبح يدخن ويشرب الخمر وصار من مدمني المخدرات.⁹

• ب- معيار وظيفة الرباط: يحدد هذا المعيار وظيفتين للرباط الحجاجي، فهناك فئة الروابط التي وظيفتها سوق الحجج، من هذه الروابط: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن) وفئة أخرى وظيفتها سوق النتيجة، من هذه الروابط: (إذا، إذن، لهذا، وبالتالي...)¹⁰

• ج - معيار العلاقة بين الحجج التي يسوقها الرباط: وهذا المعيار يحدد فئتين من الروابط حسب اتجاهها الحجاجي، الأولى تكون حججها متساندة أو متساوقة، وتسمى حجج التساوق الحجاجي، ومنها: (حتى، لاسيما). والثانية تكون حججها متعاندة أو متعارضة، وتسمى روابط التعارض الحجاجي ومنها: (بل، لكن، مع ذلك)، وهناك روابط تصنف حسب قوتها الحجاجية، فمنها الروابط المدرجة للحجج القوية وهي: (حتى، بل، لكن، لاسيما)، وأخرى مدرجة للحجج الضعيفة.¹¹

• وعليه يعد الحجاج فعلا لغويا ومؤشرا عليه بروابط وأدوات وعبارات، مهمتها الرئيسية توجيه الملفوظ وجهة حجاجية¹². فلا يمكن الوصول للقيمة الحقيقية لهذه الروابط إلا من خلال ما تؤديه من دور في الربط بين قضيتين في خطاب حجاجي ما، إذ تتفاعل هذه الروابط داخل نسيج الخطاب لتخلق الدلالة الحجاجية مما يجعل التوقف عندها أمرا لا بد منه لما تقوم به من دور فاعل ومهم داخل الخطاب.

ثانيا: توظيف الروابط الحجاجية في ذم الهوى:

✓ الرباط الحجاجي "لكن":

يساعد هذا الرباط على تقوية يقين المتلقي بالنتيجة، بل إن العامل قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطع له للوصول إلى النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها، فهي في أغلب حالاتها حجتها التي تأتي بعدها هي الأقوى، أما الحجج التي تتقدمها فهي مضمرة يفهمها المخاطب ويستطيع التوصل إليها¹³. إذ يستعمل الرباط "لكن" ليؤسس علاقة يستدرك

فيها ما بعده ويقويه على ما قبله، فهي عند علماء النحو والتفسير " يأتي معناها للتأكيد والإستدراك معا، وأنها تتوسط بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا، فيستدرك بها النفي بإيجاب، وإيجاب بالنفي"¹⁴.

ويمكننا أن نمثل لهذا الرابط بما جاء في كتاب ذم الهوى قول ابن الجوزي: ومن أدوية الباطن؛ أن يصور الإنسان انقضاء غرضه، أو يمثل غيره في مقامه، ثم يتلمح عواقب الحال. أفترى يوسف عليه السلام لو زل من كان يكون؟! أو لم يبق مدحه لصبره أبد الدهر؟! أفترى ما سمعت بالصحابي ماعز؟ ولا شك أنه في القيمة معروف، وإن كانت التوبة قد غمرت ذنبه. ولكن تلمح أنت عواقب من صبر، ومن لم يصبر.¹⁵

يحمل هذا القول دعوة صريحة للصبر عند الوقوع أمام شهوة ما، ولسلامة النفس من الوقوع فيها وجب تصور الحال وأثرها علينا بعد انقضائها تماما كما فعل نبي الله يوسف عليه السلام حين لم يستجب لامرأة العزيز فيما طلبت منه وتدبر في عواقب أمره ومعصية ربه، في حين استجاب الصحابي ماعز للذة عابرة فزنى بامرأة ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام برجمه، ومن خلال كل هذا الحث على الصبر وإعمال العقل، جاء الرابط الحجاجي (لكن) داخل الخطاب مستدركا بالمعطوف حجة أقوى وهي تلمح عواقب الأمور والافتداء بالصالحين، وهذا ما يستدعي التنبيه والتأثر لدى المتلقي.

فالرابط الحجاجي "لكن" يرفع به ما قد يتوهمه السامع لذا وظف معناه بالإستدراك وهو دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعا شبيها بالإستثناء، سواء أكانت "لكن" مثقلة أم خفيفة؛ لأن الذي يهمننا ليس المستوى التركيبي، بل المستوى الحجاجي التداولي. فغرض السياق كان لغرض الحجاج وتصحيح العلاقة الحجاجية المقترحة قبلها، فيحدث هذا الرابط واقعا جديدا مستحصل مما يردده بعده لبيان الحقيقة أو النتيجة، ولاسيما أن ما يأتي بعد "لكن" يمثل المخزن المعرفي للسياق.¹⁶

✓ الرابط الحجاجي "لأن":

يعتبر هذا الرابط من أهم ألفاظ التعليل، ويستعمل لتبرير الفعل فنجده فيما أورده ابن الجوزي في ذم الهوى قوله: "وليعلم العاقل أن مدمني الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذونها، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها، لأنها قد صارت عندهم كالعيش الاضطرابي، ولهذا ترى مدمن الخمر والجماع لا يلتذ بذلك عشر التذاذ من لم يدمن، غير أن العادة تقتضيه ذلك، فيلقي نفسه في المهالك لنيل ما يقتضيه تعوده..."¹⁷.

النتيجة: مدمن الشهوة لا يلتذ بها ولا يستطيع تركها.

الحجة: صارت عنده كالعيش الاضطرابي.

فالرابط الحجاجي "لأن" ربط بين الحجة التي مفادها أن إدمان الشهوة صار عند أصحابه كالعيش الاضطراري والنتيجة بأن مدمن الشهوة لا يلتذ بها وفي نفس الوقت تأبى نفسه تركها، إذ ورد الرابط الحجاجي هنا بعد النتيجة وجاءت الحجة بعده لتعلل النتيجة المطروحة. وهذا ما نجده عند مدمن الخمر والجماع فهو لا يلتذ بذلك عشر من لم يدمن، غير أن العادة تقتضيه ذلك، فيلقي نفسه في المهالك بسبب الإدمان.

✓ الرابط الحجاجي "الواو":

يعد "الواو" من أهم الروابط الحجاجية، إذ ليس له دور الجمع بين الحجج فحسب، بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، فالواو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساقطة أو المتساندة، ويستعمل الواو حجاجيا وذلك بترتيب الحجج، ووصل بعضها ببعض، وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي.¹⁸ ولئن أنشأت "حتى" و"بل" السلمية الحجاجية في اللغة بنمط مخصوص، فإن الواو تكشف عن عبقرية أخرى في الاشتغال لإنجاز السلم الحجاجي خارج إطار النفي والإثبات أو الإضراب أو التعليل كما هو الشأن مع بعض الروابط الأخرى.¹⁹

ومثال ذلك ما جاء في ذم الهوى قول ابن الجوزي رحمه الله: أن يتفكر في فائدة المخالفة للهوى، من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا، وسلامة النفس والعرض، والأجر في الآخرة.²⁰

النتيجة: المخالفة للهوى

الحجة 1: اكتساب الذكر الجميل في الدنيا

الحجة 2: سلامة النفس والعرض

الحجة 3: الأجر في الآخرة

فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج، وعمل أيضا على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها، فالحجة الأولى (اكتساب الذكر الجميل في الدنيا) تدعمها الحجة الثانية (سلامة النفس والعرض) ثم تدعمهم الحجة الثالثة (الأجر في الآخرة) في ترادفية سلمية لخدمة نتيجة واحدة وهي (مخالفة الهوى) فنجد أن هذا الربط النسقي بين الحجج الأولى والثانية والثالثة من الأضعف إلى الأقوى قد أضفى سلمية تدرجية باتجاه الحجة الأقوى في تصاعد هرمي يخدم نتيجة واحدة.

فنجد أن الرابط هنا قد أفاد في وصل الحجج ببعضها وترتيبها ترتيبا حجاجيا، كما وجهها إلى النتيجة التي أراد المخاطب الوصول إليها ولتؤدي الحجج في سلمها التراتبي عملية الإقناع المرجوة.

✓ الرابط الحجاجي "حتى":

يعتبر هذا الرابط من الروابط التي تعمل على ترتيب الحجج داخل الخطاب " بحيث يكمن دورها في ترتيب عناصر القول ويفهم معناها الوظيفي من السياق الذي ترد فيه، وتعتبر الأداة "حتى" من أدوات السلم الحجاجي، لدورها في ترتيب منزلة العناصر، ولما لمعانيتها واستعمالاتها من سلمية، فأولها هو (حتى الجارة) التي تعني انتهاء الغاية، على أن يراعي المرسل تحقق شروط مجرورها في التركيب، وهي: "الأول أن يكون ظاهراً في الغالب. والثاني: أن يكون آخر جزء، أو ملاقٍ لآخر جزء. وأن يكون المجرور بها داخلاً فيما قبلها على الغالب، وأن يكون الانتهاء به أو عنده". وثاني استعمالها ما يعرف ب (حتى العاطفة) ويراعي المرسل هنا شروط المعطوف، وهي شرطان: الأول: أن يكون بعض ما قبلها، أو كبعضه...[...] الثاني أن يكون غاية لما قبلها، في زيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم. والنقص يشمل الضعف والتحقير".²¹

ومثال ذلك قول ابن الجوزي: أن يفكر الإنسان في عواقب الهوى، فكم قد أفات من فضيلة، وكم قد أوقع في رذيلة... فأقرب الأشياء شهماً به من في المدبغة، فإنه لا يجد ربحها حتى يخرج فيعلم أين كان.

النتيجة: إنكار الهوى وذمه عقلاً ومنطقاً، بتشبيه صاحبه بعامل المدبغة.

الحجة: فلا يجد ربحها أي المدبغة حتى يخرج منها فيعلم أين كان.

نلاحظ أن السياق قد تكفل بحضور الرابط الحجاجي (حتى) ليؤكد عكس ما نفي ب (لا) في النتيجة التي جاءت قبله ويجيب عن ذلك في نفس الوقت، فالعلاقة الحجاجية هنا هي علاقة رؤية تتعالمق بما قبل الرابط الذي ربط بين جملتين تنذران بالاهتمام والانتباه، وربما أن الذي سوغ ذلك هو أن هذا الرابط قد ربط بين طرفين لهما علاقة متماثلة في الخطاب، إذ ينفي على عامل المدبغة أن يجد ربحها التي تلتصق به من أثر الجلود، مستعملاً أداة النفي (لا) ليخدم نتيجة ضمنية مفادها أن صاحب الهوى لا يعلم سوء حاله، ولا خيبة مآله، إلا بعد فوات الأوان، وحتى يقف على عواقبه بنفسه، تماماً كما لا يجد عامل المدبغة ربحها ملتصقة به، حتى يخرج منها فيعلم أين كان، وهنا إشارة أيضاً إلى قذارة المكان أي المدبغة وهو تشبيه كذلك بقذارة ما في الهوى من اتباع الشهوات، والوقوع في الرذائل لغياب العقل، وعدم التبصر في العواقب إلا بعد فوات الأوان.

كما أن القول المشتمل على الرابط (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي²²، وعليه يشير ما بعد حتى إلى حجة نفعية للخطاب من خلال الإشارة إلى أهمية ما هو ثانوي، وتفعيل دوره إلى ما هو قبله، لكي يأخذ مركزية معينة في الذهن.²³

✓ الرابط الحجاجي "بل":

وهو من الروابط التي وظيفتها سوق الحجج أو المدرجة للحجج المتعارضة أو المتعادلة مثل "لكن" وتكمن حجاجيته في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت.²⁴

لأن "بل" أساسا حرف إضراب وله حالان:²⁵

الأول: أن يقع بعده مفرد.

الثاني: أن يقع بعده جملة.

فإن وقع بعده مفرد فله حالان:

أ. إن تقدمه أمر أو إيجاب نحو: (اضرب زيدا بل عمرا) و (قام زيد بل عمرو) فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه ولا يحكم عليه بشيء، ويثبت الحكم لما بعده. فهو يستخدم إذن للإثبات.

ب. وإن تقدمه نفي أو نهي نحو: (ما قام زيد بل عمرو) و (لا تضرب زيدا بل عمرا) فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده.

أما الحال الثانية وهي وقوع "بل" بعد جملة: فيكون له معنى "الإضراب" أي إضرابا عما قبلها ويكون إما:

. إبطالا: نحو قوله تعالى: "أم يقولون به جنة، بل جاءهم بالحق".

. وإما الانتقال من غرض إلى غرض أو الترك للانتقال من غير إبطال نحو قوله تعالى: "قد

أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى، بل توثرون الحياة الدنيا".

ومثال ذلك ما أدرجه ابن الجوزي في كتابه ذم الهوى قوله: وإذا ثبت عيب اللذات عند العقول النيرة، بما أشرنا إليه، فهذا العيب لازم في باب العشق، بل هو به أجدر، فإن أعمال البصر في تكرار النظر حقن في نفس العاشق طلب الالتذاد، فكلما نال لذة بنظرة دفع بعض الأذى الذي جلبه لنفسه.²⁶

نلاحظ خلال هذا المثال أن الرابط الحجاجي "بل" قد جاء تعارضا مدرجا لحجة أقوى بعد عدة حجج مرتبة كالاتي:

النتيجة: اجتناب الهوى ومعرفة عيبه لدى أصحاب البصائر والعقول النيرة.

الحجة الأولى: إذا ثبت عيب اللذات عند العقول النيرة.

الحجة الثانية: فهذا العيب لازم في باب العشق.

الحجة الثالثة: هذا العيب أجدر في باب العشق.

كما يتضح في هذا المثال أن الرابط الحجاجي "بل" يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقيتين حجاجيتين: الأولى: بين الحجج التي وردت قبله (1 و2) وربطها مع النتيجة المعطاة ما

جاء على لسان ابن الجوزي؛ واعلم أن العشاق قد جاوزوا حد المهائم في عدم ملكة النفس في الانقياد إلى الشهوات، فلو رأوا بأعين البصائر ما يحتوي عليه الهوى من الآفات لهان عليهم غرضهم، فإذا ثبت عيب اللذات عند العقول النيرة، فهذا العيب لازم في باب العشق، والعلاقة الحجاجية الثانية: وهي التي جاءت بعد الرابط "بل" في إدراجه للحجة الأقوى والتي أقامت تعارضا حججيا مع الحجج السابقة ودعمتها في نفس الوقت، لتخدم النتيجة ذاتها فتفيد تبين فضل العقل وإعماله، وأنه الأجدر إذا ثبت عيب اللذات بالتخلي عنها والترفع عن ذلك بما فضلنا الله به عن المهائم بالعقل.

2: العوامل الحجاجية وتوظيفها في ذم الهوى لابن الجوزي.

أولاً: العوامل الحجاجية:

هناك مجموعة من الأدوات والعوامل الحجاجية و" ليست هي الحجج بعينها، كما أنها لا تستوعبها كلها، وإنما هذه الأدوات هي قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق"²⁷.

كما أن هناك اختلافاً بين مدلول العامل والرابط " فالعامل هو الذي يقوم بالربط بين وحدتين دلالتين داخل الفعل اللغوي نفسه، فهو على هذا موصل فوضوي، فهو بهذا يحمل المكونات داخل الفعل اللغوي فيبقى هذا الفعل ملتصقاً²⁸. فالعامل الحجاجي هو صريفة (مورفيم) إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ"²⁹.

ولنوضح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر ندرس المثالين الآتيين:³⁰

1- الساعة تشير إلى الثامنة.

2- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر (لا...إلا) وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانيات الحجاجية التي تتيحها، فإذا أخذنا القولين التاليين:

- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع.

فنلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تماماً، أما القول الثاني فيبدو غريباً ويتطلب

سياقاً خاصاً حتى نستطيع تأويله.

و إذا عدنا إلى المثال السابق (الساعة تشير إلى الثامنة) فسنجد له إمكانات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل: الدعوة إلى الإسراع، التأخر والإستبطاء، هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار....

وبعبارة أخرى: فهو يخدم نتيجة من قبيل: (أسرع)، كما يخدم النتيجة المضادة لها (لا تسرع) لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي: "لا..إلا" فإن إمكاناته الحجاجية تقلصت و أصبح الاستنتاج العادي والممكن هو: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع.

ثانيا: توظيف العوامل الحجاجية في ذم الهوى:

✓ العامل الحجاجي: ما - إلا / لا - إلا:

من التراكيب التي تترتب فيها فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية، ذلك التركيب الذي يتضمن الأدوات (ما...إلا) في ترتيب الحجج في سلم واحد؛ إذ إن (ما...إلا) عامل "يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض". وهذا يستثمره المرسل عادة، لإقناع المرسل إليه بفعل شيء ما.³¹ ولنأخذ مثال ذلك من كتاب ذم الهوى قول ابن الجوزي: فإنه ما من أحد غلب هواه إلا أحس بقوة عز، وما من أحد غلبه هواه إلا وجد في نفسه ذل القهر.³²

نلاحظ أن هذا العامل يتكون من أداتين الأولى للنفي والأخرى للاستثناء، حيث يعمل على حصر الملفوظ وتوجيهه إلى شيء بعينه مؤكدا عليه، فنجد هذا العامل في قول ابن الجوزي رحمه الله: ما من أحد غلب هواه إلا أحس بقوة عز، وكذلك قوله: وما من أحد غلبه هواه إلا وجد في نفسه ذل القهر.

قد وُظف هذا العامل الحجاجي ليحصر القول ويقيد الاحتمالات بما يحمله من طاقة حجاجية، إذ يفضي قوله إلى أن الإحساس بالقوة والعز ما هو إلا تحصيل حاصل لمن غلب هواه وخالفه، وتدبر في عز الغلبة، كما نجده أيضا ينفي العز والأنفة بالأداة (ما) على أي أحد غلبه هواه، بل يثبت عليه بأداة الاستثناء (إلا) أنه سيجد الذل والقهر وهذا نتيجة اتباع هواه وعدم إعمال عقله، فكان لهذا العامل الحجاجي دور كبير في توجيه الخطاب وحصر نتيجته لما يحتويه من طاقة حجاجية.

ومثال ذلك أيضا قول ابن الجوزي: ولا يقدر على استعمال الصبر إلا من عرف عيب الهوى وتلمح عقبى الصبر، فحينئذ يهون عليه ما صبر عليه وعنه.³³

يفضي هذا القول إلى نفي القدرة في استعمال الصبر إلا بشرط ألا وهو معرفة عيب الهوى وتلمح سوء عاقبته، فاستعمال النفي هنا ب"لا" والقصر ب"إلا" يعدان أسلوبا حجاجيا من شأنه أن يقوي الخطاب ويوجهه بتقييد الفكرة المطروحة والضغط على محتواها الخبري،

فيلغ المخاطب بهذا القصر والحصر الموجه داخل بنية النص إلى الغاية المرجوة في التأثير على المخاطب وإقناعه.

✓ العامل الحجاجي "إنما":

من أدوات السلم الحجاجي كذلك القصر باستعمال (إنما) "والسبب في ذلك إفادة إنما معنى القصر، هو تضمينه معنى: ما وإلا...] وترى أمة النحو يقولون: إنما تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه"³⁴

ومثال ذلك ما جاء من قول ابن الجوزي في ذم الهوى والشهوات: فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار.³⁵ في هذا المثال جاء العامل الحجاجي (إنما) لقصر باب ذم الهوى على الإطلاق، مثلا كشهوة المطعم إنما خلقت لاجتلاب الغذاء الذي هو ضرورة ملحة في حياتنا، ولكن التخمّة في الأكل تسبب ضررا عوض النفع، كذلك الهوى يذم المفرط منه، أي ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار، وهذه النتيجة داخل الخطاب قامت على العامل الحجاجي حين وجه الخطاب بعد النفي ب (لا) والقصر ب (إنما) ليثبت أنه لا يصلح ذم الهوى كله إنما يذم المفرط منه فقط.

3: المبادئ الحجاجية:

لا يمكن الحديث عن الحجاج دون حديث عن المواضيع لأن المواضيع دعامة رئيسية وقارة تؤكّد حجاجية الملفوظ وعليها "أي المواضيع" تتحدد مدى صلاحيتها.³⁶ وتمثل المواضيع رافدا للقيم وهرميتها عند عملية الإقناع التي يروم الخطيب تحقيقها فهي بمثابة المقدمات الثواني أو المعاني التي يركن إليها الخطيب وبدونها لا يستمد خطابه أي شرعية عند الجمهور وعليه نعتها بيرلمان "بالمقدمات العامة"³⁷

فوجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضا لقيام العملية الحجاجية، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية "les topoi"، وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي، هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حججا خاصة ما ممكنا.³⁸

إذن فالمبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب يستدعي الراحة، وأن الصدق والكرم والشجاعة من القيم النبيلة

والمحبة لدى الجميع، والتي تجعل المتصف بها في أعلى المراتب الإجتماعية، والكل يقبل أيضا انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا، وبعض هذه المبادئ مرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم³⁹.

ولهذه المبادئ الحجاجية خصائص عديدة نذكر منها:⁴⁰

أ - إنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

ب - العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

ج - التدرجية: إنها تقيم علاقة بين محمولين تدرجيين أو بين سلمين حجاجيين (العمل . النجاح) مثلا.

د - النسبية: فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له، فالعمل يؤدي إلى النجاح، ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحد المطلوب، وإذا نظر إليه على أنه تعب وإرهاق وإهدار للطاقة. وإذا نظرنا في المثالين التاليين:⁴¹

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

- سينجح زيد لأنه مجتهد.

فسنقول أن المبدأ الحجاجي (topoi) الموظف في الجملة الأولى هو:

- بقدر تعب الإنسان، تكون حاجته إلى الراحة.

ويمكن أن يصاغ هذا المبدأ صياغات تعبيرية أخرى.

- كلما كان الإنسان متعبا، كان بحاجة إلى الراحة.

- يكون الإنسان بحاجة إلى الراحة، بمقدار ما يكون متعبا.

ويشتمل المثال الآخر على مبدأ من قبيل: (الاجتهاد يؤدي إلى النجاح) أو (تكون فرص نجاح الإنسان بقدر عمله واجتهاده).

خاتمة:

ونخلص في الأخير إلى أن اللغة تؤدي وظيفة حجاجية لما تحتويه من طاقة في ملفوظاتها وروابطها، كما لا يقتصر الحجاج على لغة بعينها أو ثقافة دون غيرها، وإنما هو مرتبط بالإنسان وطبعه الميال إلى حب الجدل، وذلك ما ألفيناه في كثير من الخطابات التي أوردها ابن الجوزي -رحمه الله- وتحمل معنى الجدل والمحاجة سواء أكانت من آيات القرآن الكريم أم كانت شعرا ونثرا، إذ يعتبر الحجاج مقترنا ببنية اللغة والتي هي بمثابة وعائه الحجاجي، كما نستخلص

مما سبق أن الخطاب الموجه في ذم الهوى لابن الجوزي رحمه الله، قد جاء محملاً بطاقات حجاجية عدة ومتنوعة، محمولاً على الروابط والعوامل الحجاجية التي وظفت بطريقة مقصودة وموجهة لحمل الخطاب على تحقيق الإقناع وبلوغ هدف المحاججة في إيضاح القصد وبلوغ التأثير المراد في المتلقي، وذلك ما لأمسناه في ذم الهوى إذ بني خطابه بناءً محكماً من خلال تجسيده للحجاج اللغوي واحتواءه على قوة إنجازية متضمنة في تنوع حججه وخصائمه بين نص قرآني وحديث نبوي شريف وشعر ونثر، وهذه كلها تحوي طاقة حجاجية كبرى موظفة لجميع أنواع الروابط والعوامل الحجاجية التي ترفع من سلمها الإقناعي.

نلاحظ أيضاً اهتمام ابن الجوزي وتركيزه على الروابط الحجاجية بكل أنواعها خاصة التساوقية والتعارضية منها والتي لها الدور الأبرز في توجيه العملية الحجاجية، كما ركز أيضاً على العوامل الحجاجية وذلك لما تؤديه من حصر في إمكانات الملفوظ وتوجيه الخطاب لتحقيق عملية الإقناع.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
- (2) مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، القاهرة، ط1، 1997.
- (3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- (4) رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته إعداد وتقديم حافظ اسماعيل علوي، الجزء الثاني، مدارس وأعلام، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.
- (5) شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس.
- (6) أبي الحسن علي ابن عيسى الروماني، معاني الحروف، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 2005.
- (7) الإمام أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق وتعليق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002م.
- (8) مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، لبنان، الطبعة الأولى، 2015م.
- (9) حافظ إسماعيلي علوي وآخرون، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.
- (10) عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقص، الطبعة الأولى، 2011م.

11) حمو النقاوي، التحجاج طبيعته ومجالاته ووظائفه، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م.

الهوامش:

- ¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1 2006م، ص 26.
- ² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ³ ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 26، 27.
- ⁴ ينظر، مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط1، 1997، ص 01.
- ⁵ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 30.
- ⁷ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، صفحة 508.
- ⁸ رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته إعداد وتقديم حافظ اسماعيل علوي، الجزء الثاني، مدارس وأعلام، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، صفحة 101.
- ⁹ المرجع نفسه ص102.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص 102 وما بعدها، وينظر كذلك عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، صفحة 508 وما بعدها.
- ¹¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.
- ¹² شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، ص 376.
- ¹³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 84.
- ¹⁴ أبي الحسن علي ابن عيسى الرماني، معاني الحروف، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص 192.
- ¹⁵ الإمام أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق وتعليق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002م، ص 554.
- ¹⁶ ينظر، مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، لبنان، الطبعة الأولى، 2015م، ص 85.
- ¹⁷ ابن الجوزي، ذم الهوى، ص 36.
- ¹⁸ ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، صفحة 472.
- ¹⁹ ينظر، عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 152.

- 20 ابن الجوزي، ذم الهوى، ص38.
- 21 ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص518/517.
- 22 أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص73.
- 23 مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص96.
- 24 ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص514.
- 25 ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص61/60.
- 26 ابن الجوزي، ذم الهوى، ص300.
- 27 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص477.
- 28 حافظ إسماعيلي علوي وآخرون، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 2010م، ص234.
- 29 أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص235.
- 30 أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص(28، 29).
- 31 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص520/519.
- 32 ابن الجوزي، ذم الهوى، ص32.
- 33 ابن الجوزي، ذم الهوى، ص81.
- 34 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص520.
- 35 ابن الجوزي، ذم الهوى، ص35.
- 36 عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقص، الطبعة الأولى، 2011م، صفحة81.
- 37 المرجع نفسه، صفحة82.
- 38 أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص31.
- 39 أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص33.
- 40 أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م، ص67/66.
- 41 أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مرجع سابق، ص67/66.